

مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي وتحولات الحراك العربي بعد 2011

د. فرج محمد لامة*

د. عبد المجيد خليفة الكوت**

مقدمة :

شهدت المنطقة العربية من بدايات عام 2011 جملة من التحولات السياسية أصطلح على تسميتها " بالربيع العربي " تارة⁽¹⁾، وبانتفاضات العرب تارة ثانية وبالحراك العربي تارة أخرى . ويغض النظر عن جملة الأوصاف والمسميات التي أطلقت على هذه الأحداث إلا أن وقعها السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي كان له تأثيراته المباشرة على دول المنطقة وامتدت نحو دول الجوار الإقليمي والمحيط الدولي . ورغم مرور أكثر من خمس سنوات على تفجر هذه الأحداث إلا أنها ما تزال حاضرة في الأدبيات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والأمنية وبالمثل في الدراسات الاستراتيجية والتي سعت إلى قراءة هذه الأحداث وتحليل إنعكاساتها من زوايا وجوانب عدة على الصعيد الداخلي والخارجي . وتتخرط هذه الدراسة في هذا السياق في محاولة لقراءة وتحليل واستشراف مستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي على خلفية تحولات الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة العربية منذ عام 2011 .

1- اشكالية الدراسة :

تطرح تحولات الحراك العربي بعد 2011 عدد من التساؤلات المهمة. ولعل من أهم هذه التساؤلات سؤالاً مهماً يتعلق بمستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي بخاصة على خلفية المواقف الدولية والإقليمية تجاه هذه التحولات وهو السؤال الذي يمكن صياغته في التالي : هل موازين القوى

* جامعة طرابلس - ليبيا

** الأكاديمية الليبية للدراسات العليا

1 - مصطلح الربيع العربي شاع استخدامه في وسائل الإعلام منذ مطلع 2011 ويعني تلك الانتفاضات والاحتجاجات التي قامت لأسباب عديدة أهمها الركود الاقتصادي وسوء الأحوال المعيشية ، إضافة إلى التضيق السياسي والظلم والاستبداد ، واندلعت هذه الثورات لتنادي بإسقاط الأنظمة القائمة بعد أن أشعلها المواطن التونسي محمد البوعزيزي في تونس وأسقطت رئيسها زين العابدين بن علي ، ثم في مصر وأسقطت أيضا رئيسها محمد حسني مبارك ، وكذلك امتدت إلى ليبيا ، واندلعت كذلك في اليمن وسوريا بشكل رئيسي ، وعدد من الدول العربية الأخرى كالبحرين وعمان والمغرب والأردن بدرجة أقل من الدول الخمس الأولى . للمزيد انظر ، الربيع العربي : سيناريوهات المستقبل ، منتدى الأعمال الفلسطيني - قسم البحوث والدراسات الاقتصادية ، ديسمبر 2011 .

الإقليمي والدولي بعد تحولات حراك الربيع العربي تميل لصالح الطرف العربي في الصراع مع الطرف الإسرائيلي أم أن التوقعات المستقبلية ترجح الكفة الإسرائيلية وتميل إلى تراجع القضية الفلسطينية التي تمثل مركز ولب الصراع العربي الإسرائيلي ؟ .

2- أهمية الدراسة :

- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من اعتبارات عدة ، يمكن أن نوجزها في النقاط التالية :
- أهمية الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة العربية منذ العام 2011 وكذلك أهمية تداعياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والاستراتيجية على المنطقة وإنعكاساته على دول الجوار الإقليمي والمحيط الدولي برمته .
- أهمية المواقف الدولية والإقليمية من هذا الحراك وتفاعلها إيجاباً وسلباً مع تحولاته وقواه
- أهمية هذا الحراك بالنسبة لطرفي الصراع العربي - الإسرائيلي وتداعياته على ميزان القوى في المنطقة .

3- أهداف الدراسة :

- تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :
- التعرف على المواقف الدولية والإقليمية تجاه حراك الربيع العربي .
- محاولة رسم سيناريوهات مستقبلية للصراع العربي - الإسرائيلي بناءً على المواقف الدولية والإقليمية تجاه حراك الربيع العربي .

4- فرضيات الدراسة :

- تتمحور الفرضية الأساسية لهذه الدراسة في الصيغة التالية : أن تحولات الحراك السياسي للربيع العربي ومواقف القوى الدولية والإقليمية تجاه ذلك كان لها تأثيرها على موازين القوة في الصراع العربي - الإسرائيلي . وتتعامل هذه الفرضية مع تحولات حراك الربيع العربي وجملة المواقف الدولية والإقليمية كمتغير مستقل له إنعكاساته على الصراع العربي - الإسرائيلي كمتغير تابع وتتفرع من هذه الفرضية الأساسية فرضيات فرعية تسعى الدراسة لاختبارها ، ويمكن صياغتها على النحو التالي :
- تحولات حراك الربيع العربي ومواقف القوى الدولية والإقليمية تميل إلى ترجيح كفة الصراع العربي - الإسرائيلي لصالح الطرف العربي .

- تحولات حراك الربيع العربي ومواقف القوى الدولية والإقليمية تميل لصالح الطرف الإسرائيلي في صراعه مع الطرف العربي .

5- منهجية الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على منهج التحليل الكيفي لاختبار منطوق الفرضيات التي تنطلق منها . حيث يستهدف هذا المنهج الكشف عن خصائص الظاهرة ومكوناتها وتفاعلاتها. وذلك من خلال طرح تساؤلات رئيسية حول : ماذا وكيف ومن ولمن ولماذا ؟ . (1) وتستعين الدراسة بأسلوب البحث المكتبي الذي ينهض على مصادر معلوماتية أولية كالوثائق والتقارير ، ومصادر معلومات ثانوية كالكتب والبحوث والدوريات العلمية التي تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر أو غير مباشر .

6- تقسيمات الدراسة :

بغية تحقيق الأهداف البحثية المتوخاة تنقسم هذه الدراسة إلى المحاور التالية :

- أولاً / موقف القوى الكبرى من تحولات حراك الربيع العربي .
- ثانياً / موقف القوى الإقليمية من حراك الربيع العربي .
- ثالثاً / الرؤية والموقف الإسرائيلي من حراك الربيع العربي .
- رابعاً / السيناريوهات المستقبلية للصراع العربي - الإسرائيلي وتحولات حراك الربيع العربي .
- خامساً / النتائج والخلاصة .

أولاً / موقف القوى الكبرى من تحولات الربيع العربي :

الملاحظ أن مواقف القوى الكبرى من تحولات الحراك العربي ليست متوافقة ، بل هي مواقف تتسم بالتعارض والتنافر ولعل تذبذب هذه المواقف نابع من اعتبارات المصلحة لا القيم ، إذ " بدأت هذه التحولات منذ اليوم الأول في اكتساب بعد دولي لا يقل أهمية . حيث لم ينبع الاهتمام الدولي من حاجة الدول المحيطة على صعيد الإقليم أو تلك الفاعلة دولياً إلى أن تكون طرفاً في حدث كبير أو لاعباً في مباراة ضخمة بقدر محاولة الجميع الحفاظ على مصالحه التي لا بد أن تتغير مع تغير الأنظمة " (ابوسيف ، 2012)

1 - يسعى المنهج التحليلي Analysis إلى الإجابة على سؤال: كيف حدث؟ ولماذا حدث ما حدث على هذا النحو؟ بغية فهم العلاقات بين الوقائع والمعطيات المتعددة من جهة، والظاهرة المدروسة من جهة أخرى. ويعتمد التحليل على: فك الظاهرة المركبة إلى مكوناتها الأساسية من أجل فهمها كإجزاء (Micro)، ثم إعادة تركيب الأجزاء مرة أخرى وتجميعها لتمثل الظاهرة الكلية، وبالتالي الفهم على المستوى الكلي (Marco). انظر: د. حامد عبد الماجد، مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2000 .

- فالموقف الأمريكي من الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة العربية بداية عام 2011 جاء مرتبكا أو ما وصفه بعضهم بـ " الورطة الأمريكية " ، التي مفادها إمكانية التوفيق بين " المشاعر المتعارضة لدعم الجماهير التي تتادي بالقيم التي يعلي الخطاب الأمريكي من أهميتها ، وبين الحكام الذين تتمتع واشنطن بفوائد كثيرة من بقائهم " (ابوسيف ، 2012) . حيث شعرت واشنطن منذ البداية بالقلق والارتباك ، في ضوء احتمال خسارتها لحفائها التقليديين ، ولاحتمال تغير خريطة المنطقة بما يتعارض مع استراتيجياتها ومصالحها ، غير أنها تكيفت بسرعة مع الوضع الجديد وركبت الموجة وعملت على توجيهها في مسارات تخدم مصالحها ، أو على الأقل تخفف من الأضرار المحتملة قدر الإمكان " (نوفل ، دبت ، ص 12) . ذلك أن رؤية ومواقف الإدارة الأمريكية من هذا الحراك تحكمتها في المقام الأول اعتبارات الأمن الإسرائيلي كونه توجهها أساسيا في السياسات الأمريكية تجاه المنطقة وكذلك العامل النفطي حيث " أن أية تغييرات سياسية في المنطقة تحكمتها بالضرورة العلاقة الخاصة والمميزة والإستراتيجية التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل وأنها بذلك تتعامل مع قضايا المنطقة بدوافع تصوغها سياسات أمريكية داخلية وليست خارجية " (قسيس ، 2012 ، ص 113)

ولذا فإن ردود فعل إدارة أوباما حيال الحراك العربي جاءت متفاوتة وبشكل انتقائي ومرتبك فلم تتحرك الإدارة الأمريكية لتأييد المحتجين ضد حكم بن علي في تونس ، بل وحتى قبيل ساعات من هروب الرئيس التونسي خارج البلاد كانت واشنطن تطالب كل الأطراف بانتهاج سياسة ضبط النفس ونبذ العنف . وتكرر الموقف الأمريكي نفسه من الثورة المصرية في 15 كانون الثاني ، يناير 2011 . " فقد أيدت الإدارة الأمريكية الانتقال المنظم للسلطة لـ " عمر سليمان " ، ولم توافق على أن تتسلم القوات المسلحة المصرية زمام الأمور ، إلا بعد أن رفضت الملايين في ميدان التحرير وفي شتى أنحاء مصر خطة انتقال السلطة لسليمان " (براونلي ، 2012 ، ص 36) . بينما كان موقفها من الأحداث في ليبيا مغايرا جدا ، فقد استنظت الإدارة الأمريكية ، ومن بعدها حلف شمال الأطلسي " الناتو " بالقرارين 1970 ، 1973 الذين صدرا عن مجلس الأمن في مارس 2011 كونهما مسوغين للتدخل العسكري المباشر في الأحداث بحجة حماية المدنيين ، الأمر الذي ساهم كثيرا في سقوط النظام ودخول ليبيا في مرحلة ما بعد القذافي

ويبدو الموقف الروسي من حراك الربيع العربي مشدودا نحو وترين رئيسيين : الوتر الأول تخوف موسكو من انتقال العدوى إلى ميادينها وتخومها ، وبالتالي السعي إلى محاصرته ، إذ يمثل الموقف الروسي نموذجا " للموقف الممانع بل وعداء مبطنا أحيانا وسافرا في أحيان أخرى " (راشد ، 2012 ،

ص 14) . **والوتر الثاني** ، يتعلق بالأهمية الإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة والمنطقة العربية بصفة خاصة بالنسبة لموسكو وكذا بطبيعة المصالح الحيوية الاقتصادية منها تحديداً ، التي تربط روسيا بدول المنطقة وهي تشكل محددًا مهمًا في رؤية موسكو وكذلك موقفها من الحدث العربي، إذ " تمثل المنطقة العربية سوقًا مهمة ذات قوة استيعابية كبيرة للصادرات الروسية من السلع الإستراتيجية والمعمرة وأيضًا مبيعات الأسلحة التي تقدر بمليارات الدولارات " (راشد، 2012، ص 15) .

وتبدو بوصلة المصالح الحيوية ظاهرة وواضحة في تفاوت المواقف الروسية تجاه دول الحراك العربي حيث إن القيادة الروسية لم تهتم بشكل كاف بما حدث في تونس . وفي المقابل نالت التطورات في كل من مصر وليبيا وسوريا اهتمامًا أكبر من طرف روسيا . بل إن الموقف الروسي كان متعنتًا بالنسبة لسوريا التي وصفت - على لسان وزير الخارجية لافروف - بأنها أهم الدول في الشرق الأوسط وأن زعزعة الاستقرار هناك ستكون له عواقب وخيمة في مناطق بعيدة جدًا عن سوريا نفسها ، وبما يعني تهديد حقيقي للأمن الإقليمي " (راشد، 2012، ص 15) . ثم تطور المواقف الروسي إلى حد الانخراط المباشر في الأزمة السورية عن طريق التدخل العسكري بحجة محاربة الإرهاب في المنطقة منذ عام 2015 .

- **الموقف الصيني كان برجماتياً بامتياز وذلك من خلال انتهاج سياسات مزدوجة** تتسم بطابع " الصمت حيال أحداث الحراك العربي بداية ، وعرضت عن الاعتراف بهذه الأحداث كثورات ، وهي تقف مع النظم أياً كانت مادامت هذه النظم في السلطة ثم تتسحب عنها إلى تأييد المعارضة والتوافق معها حين تنتقل هذه المعارضة إلى السلطة . وقد فسر الموقف الصيني الصامت حيال أحداث الحراك العربي في بدايته بأنه خشية انتقال عدوى هذه الأحداث إلى الصين ، وهي مهياة لها " (أيوب، 2012، ص 25) . وتوصف السياسة الصينية إزاء هذا الحراك بسياسة المشي على الحبال الرقيقة ، إذ يلخص بعضهم نموذجاً لفهم العلاقات الصينية - الشرق الأوسطية في أبعاد خمس للتعاون : الطاقة ، التجارة ، تجارة السلاح ، الثقافة والتعاون السياسي ، فقد أصبحت الصين مستورداً كبيراً لنفط الشرق الأوسط ، ويتوقع بحلول العام 2030 أن تشكل واردات الصين النفطية من الشرق الأوسط 70% من إجمالي احتياجاتها النفطية " (عليما، 2013) .

وعلى خلفية هذه الأبعاد المتداخلة والمتشابكة تدير " الصين علاقاتها مع الشرق الأوسط بمهارة معقدة وعلى نحو فيه من التوافق والمغامرات والمخاطر الصعبة الكثير فهي تبني شراكة إستراتيجية مع إسرائيل وفي الوقت نفسه أقامت شراكات كبرى مع الدول العربية وتواصل دعمها

التقليدي للشعب الفلسطيني وفي علاقتها مع الولايات المتحدة فإنها تقدم بعض الدعم لسياساتها الخارجية في المنطقة . وفي المقابل فإن الولايات المتحدة توفر الأمن والحماية للنقل النفطي إلى الصين ، وتقيم الصين في الوقت نفسه علاقة قوية وواسعة مع إيران في التسليح والنفط برغم المعارضة الأمريكية والإسرائيلية للبرنامج النووي الإيراني ، والتحفظ السعودي والخليجي على كثير من سياسات إيران الإقليمية ، ولكن السياسة الصينية تجاه ما يجري في سوريا كان موضع استياء عربي واسع " (عليما، 2013، ص7) .

- **الموقف الأوروبي من أحداث الحراك العربي** ، يمكن وصفه بأنه عبارة عن " مواقف " عدة ولا يعبر عن موقف أوروبي موحد ، وهو مواقف عكست التحديات التي تواجه الاتحاد الأوروبي في انتهاج سياسة خارجية أوروبية موحدة إزاء الأطراف الأخرى . حيث أظهرت دول الاتحاد الأوروبي مواقف غير متطابقة حيال الربيع العربي وحيال كل حالة من حالاته . وبصفة عامة انتهجت أوروبا سياسات عدة إزاء الحراك العربي ، يمكن عرضها من خلال التالي : (ابوسيف، ص 143)

-الصمت التام وعدم التعليق على ما يحدث وهو موقف ظهر في بداية الأحداث في مصر وتونس حيث كان وقع الصدمة شديداً ولم يتم التنبؤ به .

-التدخل بالقوة مثلما حدث في الحالة الليبية حيث تم تفعيل قمة براغ في حلف " الناتو " حول التدخل الإنساني وتم استخدام أصول الحلف الأوروبية وفق تفويضات بيترسبورغ في ضرب طرابلس وفرض حظر جوي .

-التدخل الإيجابي بعد سقوط النظام في محاولة لدعم عملية التحول الديمقراطي ، كما حدث في مصر وتونس .

-فتح قنوات خلفية مع اللاعبين الجدد في المشهد السياسي العربي قيد التشكيل في محاولة لضمان عدم إخلال هؤلاء بشروط الاستقرار الإقليمي وضمان عدم تهديد المصالح الأوروبية .

ثانياً / مواقف القوى الإقليمية من حراك الربيع العربي :

- في الإطار الإقليمي وتحديداً بالنسبة لدول الجوار الجغرافي للمنطقة العربية ترى أنقرة أن الحراك السياسي العربي لم يؤثر في جوهر وثوابت وتوجهات السياسة التركية في المنطقة حيث يرى وزير الخارجية التركي أحمد داوود اوغلو " أن الثورات العربية ، وحالة عدم الاستقرار التي تمر بها المنطقة ، لم تؤثر على جوهر السياسة الخارجية التركية وثوابتها " (باكير، ابوعامر، 2012 ، ص 4) ولذا سعت تركيا باعتبارها لاعبا إقليميا مهما وكونها دولة إسلامية إلى توظيف مناخ الحراك العربي

باتجاه تعظيم دورها الإقليمي وعلى قاعدة المرونة التي أبدتها " النظام الدولي في إعطاء الدول الإقليمية دوراً أكثر فعالية تعبر به عن سياساتها وطموحاتها في المناطق الحيوية لمصالحها مباشرة " (وحدة تحليل السياسات ، 2012 ، ص 16) وحرصت أنقرة أن تقدم نفسها على وجهين :

-الأول ، كدولة قائدة في المنطقة ، و " كزعيم إقليمي داعم للتوجهات الديمقراطية في عديد الدول الإسلامية ، وذلك باعتبار تجربتها الإصلاحية تجربة رائدة تصلح لتحقيق التغييرات الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط " (بيبرس ، 2012 ، ص 174) . لكن هذه الصورة اهتزت على خلفية سياسات القمع الدموي التي أبدتها السلطات التركية حيال المتظاهرين السلميين في ميدان تقسيم ومدن تركية أخرى التي قوبلت بتتديد واسع من قبل المنظمات الحقوقية ومن طرف الاتحاد الأوروبي أيضاً .

-أنها الحليف السني الاستراتيجي لدول الحراك العربي وشعوبها في مواجهة المد الشيعي الذي تقوده إيران في المنطقة . حيث اتجهت إلى دعم الانتفاضات الشعبية في مصر وتونس وليبيا وسوريا " (بيبرس ، 2012 ، ص 174) . فانغمست في الشأن الداخلي العربي بشكل مستفز و تميز موقفها حتى المؤيد للحراك السياسي العربي بطابع استفزازي وتدخل حاد أعاد إلى الأذهان حقبة الإمبراطورية العثمانية الأمر الذي فجر " التخوف الأمريكي الأوروبي من تجاوز تركيا للخطوط " المقبولة " ولعب أدوار تتعارض مع المصالح الغربية في المنطقة ، فضلا عن إثارة بعض الحساسيات العربية ، قبل وبعد الثورات الأخيرة " (باكير ، ابوعامر ، 2012 ، ص7)

- إيران نظرت إلى أحداث الحراك العربي بعدسات الثورة الإيرانية عبر تأكيدها على أن " الثورات العربية هي بؤادر يقظة إسلامية مستوحاة من الثورة الإيرانية . وأنها تدخل في سياق " الصحوة الإسلامية المستمدة من الثورة الإيرانية وهو ما عبر عنه في كثير من الأحاديث الرسمية وتصريحات رموز التيار المحافظ . كما تعمدت الرؤية الإيرانية إضفاء طابع أيديولوجي على ثورات الربيع العربي واعتبارها ثورات على تبعية الحكام للغرب، وذلك من خلال التركيز على مواقف الأنظمة - في الدول التي اجتاحتها الثورات - تجاه الغرب وإسرائيل وتخليها عن دعم القضية الفلسطينية . ويبدو ذلك واضحا في وصف القائد الأعلى (خامنئي) الرئيس المخلوع حسني مبارك بأنه كان خادما أميناً للأمريكيين وإسرائيل خلال ثلاثين عاما " (أبو هلال ، 2011 ، ص7) .

ثم تطور الموقف الإيراني في المنطقة إلى حد الاستفزاز السياسي والعسكري بتدخلها العسكري المباشر في الأزمة السورية وعبر توظيف المناخ العربي الجديد لتصدير قيم وشعرات ونموذجها الثوري الإسلامي . حيث تقدم إيران نفسها باعتبارها لاعبا إقليميا مهما في المنطقة وأن دورها

الإقليمي ينبغي أن يتعاطف في مرحلة ما بعد الحراك العربي . لكن الموقف والسلوك الإيراني إزاء حالات الربيع العربي لم يكن على نمط واحد ، فقد حكم السلوك الإيراني اعتبارات عدة :

أولها ، التعامل مع " الثورات العربية بما يلائم مصالحها الوطنية وتحالفاتها الإقليمية " (وحدة تحليل السياسات، ص 17) . وثانيها ، تعزيز موقعها ونفوذها الإقليمي في المنطقة ومحاولة سحب البساط من تحت إقدام فاعلين إقليميين منافسين لها في مقدمتهم تركيا . وأخيرا ، تفاوتت مواقف طهران من حالات الحراك العربي التي تأرجحت ما بين التأييد القوي لبعضها كما في مصر والبحرين ، والترقب الحذر كما في الحالة الليبية ، والممانعة الشديدة لها كما في الحالة السورية . ويلاحظ هنا أن طهران " اتبعت سياسة مذهبية في تعاطيها مع الثورات العربية ، حيث حاولت تقديم نفسها على أنها حاملة لواء الدفاع عن الشيعة في الوطن العربي " (تحليل السياسات، ص 17) .

ثالثاً / الرؤية الإسرائيلية لحراك الربيع العربي :

بدأت إسرائيل من أكثر دول العالم انزعاجاً واهتماماً بحالة الحراك السياسي التي شهدته المنطقة العربية بداية 2011 ، حيث عكفت الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الإسرائيلية ومعها مراكز الفكر على مراجعة الموقف ومحاولة التوصل إلى تقييم عام وشامل للأوضاع في المنطقة ، وما تحفل به من مخاطر وما يمكن أن يكون هناك من فرص، إضافة إلى تقديم توصيات للحكومة الإسرائيلية عن كيفية التعامل مع المستجدات التي طرأت على البيئة الإقليمية " (جاد ، 2012، ص 93) . وتتبلور الرؤية الإسرائيلية في ظل الحراك العربي حول مقولة أساسية مفادها " بيئة إقليمية مشبعة بالتهديدات " يجب التعامل معها بحذر وبحزم في الوقت ذاته . وفقاً لما جاء في تقرير إسرائيلي نشرته صحيفة يديعوت احرنوت ، تنطلق الرؤية الإسرائيلية للحراك العربي من " افتراض أن التحولات التي يشهدها العالم العربي تحمل في طياتها عديد المخاطر الإستراتيجية ، مما يستدعي تهديد كبير على إسرائيل . ووفقاً لما نشره التقرير هناك عاملان أساسيان يمكن لهما أن يزيدان من التهديد العربي على إسرائيل والمتمثلة في انهيار الأنظمة التي لها السبق في توقيع اتفاقيات سلام مع إسرائيل ، والآخر هو صعود الإسلاميين إلى السلطة . (عودة ، 2013 ، ص 65) .

ويعدد عاموس يدلين خمسة تحديات أساسية واجهت الأمن القومي الإسرائيلي منذ 2012 وهي استمرار تحول إيران نحو دولة نووية ، المحافظة على السلام مع مصر والأردن في ظل التغيرات التي تعصف بالمنطقة ، الحرب الأهلية في سوريا ، والخوف من أن تؤدي إلى إشعال الجبهة الشمالية ، العلاقة مع القضية الفلسطينية ببعديها : السياسي والمرتبط بتجديد العملية التفاوضية ،

والأمني - العسكري الآتي من غزة ، وأخيرا تحدي المحافظة على مكانة إسرائيل الدولية (غانم ، 2013 ، ص 11)

وعلى العموم يمكن القول أن إسرائيل أدركت منذ البدء حجم التغيرات التي شهدتها المنطقة على خلفية الحراك العربي ، وحاولت قراءة هذه الأحداث بطريقة موضوعية حيث " تنذر الاضطرابات الإقليمية بنهاية النظام الذي كان قائما في دول عدة في المنطقة ، والذي كان يستند إلى مجموعة من العوامل ، هي : زعيم متقدم في السن وعظيم القدرة ، حزب حاكم يسيطر على كافة مجالات الحياة ، بيروقراطية مترهلة تخدم مصالح النخبة الحاكمة ، جيش قوى يدين بالولاء الشديد للنظام . إن أغلبية عناصر هذه المعادلة إما انهارت ، وإما اختفت في الأشهر الأخيرة ، وقد برز سلوك مختلف " (ميلشتاين ، 2011) .

والملاحظ على الموقف الإسرائيلي أنه اتسم بتعامل حذر وذكي تجاه أحداث الحراك العربي وبما يعزز مكانة إسرائيل ، وهو موقف يقوم على حالة السكون والترقب من جهة ، واقتناص وتعظيم الفرص التي قد يوفرها " ربيع العرب " وتقليل المخاطر التي قد يفجرها أو ينفخ فيها من جديد . فقد نجحت إسرائيل في الاستفادة من الوضع الإقليمي الجديد ، من خلال انشغال العالم العربي بأموره الداخلية وتحقيق مكاسب جمة من خلال ذلك لتقادي انعكاسات الحراك العربي مستقبلا ، مثل بلورة جديدة للعلاقات مع مصر من خلال المصلحة المشتركة للطرفين في سيناء ، والحفاظ على الهدوء والاستقرار على جبهة غزة . وحاولت إسرائيل استغلال الحالة العربية لفرض وقائع في الأرض الفلسطينية المحتلة ، وتغييب الموضوع الفلسطيني " (غانم ، 2013) . وقد وظفت إسرائيل مناخ الحراك العربي وتداعياته في اتجاه التوسع الاستيطاني ، أو ما أسماه عاموس يدلين " ربيع الاستيطان الإسرائيلي " .

رابعاً / سيناريو هات الصراع العربي - الإسرائيلي في ظل تحولات حراك الربيع العربي :

يقصد بالسيناريو " وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه ، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي ، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض . والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات ، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة " (العيسوي ، 2000 ، ص 20) .

في هذا الشأن ، يمكن قراءة سيناريو الصراع العربي - الإسرائيلي في ظل تحولات الربيع العربي من خلال ثلاثة مشاهد رئيسة :

- **المشهد الأول تفاؤلي** ، يتجه نحو أن متغير الحراك العربي سوف يلعب دوراً ايجابياً في توحيد الصف العربي والفلسطيني المنقسم على ذاته . وهو سيناريو ينهض على فرضية أن الفلسطينيين هم أكثر الرابحين من تحولات هذا الحراك ، وأن أكبر الخاسرين هم إسرائيل تليها الولايات المتحدة و بأن " أي تغييرات تحدث - بسبب الحراك العربي - ستكون لمصلحة القضية الفلسطينية ، فقد أثر الحراك العربي بعد عام 2011 في إتمام المصالحة الفلسطينية المعطلة منذ سنوات ، وساعد على إتمامها بعد سقوط نظام مبارك في شهر أيار 2011 .. ولهذا فإن الثورات العربية قد مهدت لميلاد الأمة من جديد واستعادة دورها في تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي " (نوفل،، د:ت). بل إن تبشير هذا المشهد دفع البعض إلى الاحتفاء به ووصفه بأنه "ثورة في حد ذاته وإن لم تأخذ الأشكال التي اتخذتها الانتفاضات الشعبية العربية "(جميل هلال، د:ت) .

- **المشهد الثاني** ، مشهد لاغالب ولا مغلوب ، فهو مشهد يميل إلى خيار الإبقاء على الوضع الراهن في ظل استمرارية سلطة الحكم الذاتي المقيدة باتفاقات أوسلو دون تطبيق إسرائيل التزاماتها فيها . ويستند هذا المشهد على فرضية أن " الثورات العربية لم تغير في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي ، ولا حتى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، على الرغم من التقدم الشكلي والنظري في إطار المصالحة وتوقيع اتفاق القاهرة بين حركتي فتح وحماس في أيار 2011 ، إلا أنه وعلى أرض الواقع لم يتغير الشيء الكثير " (البيشتاوي، ص38) . و كما يرى البعض ، فإن الوضع الراهن له مزايا لا يرغب أي من الطرفين التضحية بها ، سواء بالنسبة لعباس ، أو لقادة حماس وأيضاً بالنسبة للطرف الإسرائيلي .

المشهد الثالث ، مشهد الانكفاء والتشردم ومزيد الانقسام على خلفية ما سوف تؤول إليه تطورات الأوضاع في المنطقة وحالة السيولة والاستقطاب الإقليمي الحاد الذي تعيشه . وهو مشهد لصالح الطرف الإسرائيلي ، تغذيه - **من ناحية أولى** - حالة الشكوك في نوايا الطرفين بشأن المصالحة الفلسطينية التي يخشي البعض من أن تكون ورقة رابحة لفتح وحماس لا تعدو مجرد " مهدئات للشعب ، ومحاولة لكسب الوقت في انتظار نتائج متغيرات عربية وإقليمية ودولية يراهن عليها كل طرف ، خاصة الواقع العربي بعد الاضطرابات التي تشهدها أكثر من دولة عربية " (ابراش، 2012 ، ص 73) بل هناك من يشكك في " أن ذهاب حركة فتح إلى المصالحة لم يكن خياراً بقدر ما كان تعاطياً مع التغيرات السياسية التي فرضت نفسها ، خصوصاً بعد سقوط النظام المصري ، الذي

كان يشكل سندا لمنظمة التحرير وفتح ، أضف إلى ذلك انسداد الأفق السياسي ، وتكرر إسرائيلي لكل التزاماتها ويرى عديد الخبراء أن حركة فتح جاءت إلى المصالحة مرغمة " (حبيب ، 2010 ، ص 536) .

وبالمثل تطول الشكوك نوايا حماس فيما يتعلق بملف المصالحة الفلسطينية ، حيث وفي الوقت الراهن يبدو أن الأولوية بالنسبة لحركة حماس تتجه نحو تحقيق وحدة اندماجية مع حركة الجهاد الإسلامي وليس تحقيق المصالحة مع حركة فتح " (حبيب ، 2010 ، ص 47) . كما تكمن خلافات أخرى حادة غير منظورة بين الطرفين الفلسطينيين تتعلق بمضمون اتفاقيات المصالحة الفلسطينية أو ما أسماه البعض " شيطان التفاصيل " . التي لا تسمح المساحة هنا للخوض في تفاصيلها . حيث ينذر ملف المصالحة الفلسطينية بمزيد من الانشقاق في الصف الفلسطيني ذاته - كما يخشي البعض - من الانشقاق داخل الفصيل الواحد وذلك على خلفية ما حدث من خلاف بين قيادات حماس بشأن اتفاق الدوحة للمصالحة الفلسطينية الذي أعقب اتفاق القاهرة 2011 الذي فجر خلافات عميقة بين " ما يمكن تسميته حماس الخارج وحماس غزة ، حيث اعترضت العديد من القيادات الحمساوية في غزة على قضية تولى الرئيس محمود عباس رئاسة الحكومة الجديدة " (سويدان ، دبت ، ص 44) .

كما أن إعلان الدوحة - وفق وجهة نظر بعض القيادات الحمساوية - هو بداية لمرحلة جديدة من الانقسامات و الخلافات في بنية حركة حماس حيث " جرى اعتراض من بعض أفراد قادة الحركة من قطاع غزة وأبرزهم د. محمود الزهار على هذا الإعلان بسبب تقرد رئيس المكتب السياسي للحركة بالقرار دون إجراء مشاورات جادة ومعقدة وبالاستناد إلى مؤسسات الحركة تجاه هذه المقترح الذي تم تقديمه للرئيس عباس (أبورمضان ، 2012 ، ص 24) . بل إن اتفاق الدوحة تعطل على عتبة رفض حماس غزة تنفيذه . علاوة على أن اتفاق المصالحة بين حماس وفتح أثار " حفيظة القوى والفصائل الفلسطينية الأخرى ، فاننقدت ذلك ورأت في ذلك تهميشا لدورها وإعادة إنتاج للثنائية القطبية التي قادت فيما قادت إليه حالة الانقسام الراهنة " (درويش ، دبت ، ص 53) .

ما ينذر بمزيد من تعميق حالة التشطي والانقسام الفلسطيني وهو الأمر الذي بدأ يلوح في الأفق . علاوة على التحولات السياسية التي شهدتها مصر بتولى عبدالفتاح السيسي مقاليد السلطة مدعوما بالقوة المسلحة المصرية منذ يونيه 2003 . ومن ناحية ثانية ، تغذي هذا المشهد التشاؤمي ، طموحات ورغبات وسياسات الطرف الإسرائيلي . وهو مشهد عبر عنه تيمرود غورين رئيس المعهد الإسرائيلي للسياسات الخارجية الإقليمية وكذلك أيلي يوده الأستاذ في قسم الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية في الجامعة العبرية بالقدس في مقال نشرته مجلة نيوزويك على موقع "

ديلي بيست " الالكتروني تحت عنوان " الربيع العربي يقدم خمس فرص إلى إسرائيل " أكدا من خلاله على أنه لا ينبغي النظر إلى التطورات الإقليمية في المنطقة بصورة سلبية حيث إنها تقدم فرصا عظيمة للسياسة الخارجية الإسرائيلية وتدفع نحو تعزيز مكانتها الإقليمية (صحيفة النهار ، 2013)

وفي هذا السياق يخلص عاموس يدلين هذه المشهد في أنه في ظل الحراك العربي " ازدادت الايجابيات على السلبيات في ميزان الأمن القومي الإسرائيلي ، إذ نجحت إسرائيل في اجتياز عام 2012 من غير تسجيل أحداث دراماتيكية جدية أو تغيير حقيقي في مكانة إسرائيل الجيو - سياسية فقد نجحت إسرائيل عمليا في الحفاظ على السلام مع مصر والأردن ، ولم تدفع ثمنا حقيقيا يؤثر استراتيجيا عليها فيما يتعلق بالاحتلال في الضفة الغربية ، واستمرت في المشاريع الاستيطانية فضاعفت نسبة مشاريعها أربعة أضعاف ما كانت عليه عام 2011 ليكون عام 2012 وبحق " ربيع الاستيطان الإسرائيلي " ، حيث " استغلت إسرائيل انشغال العرب والعالم بالثورات العربية فزادت من وتيرة الاستيطان في الضفة والتهويد في القدس مع تهريبها من كل محاولة لإرجاعها لطاولة المفاوضات، وإسرائيل في سياستها هذه مطمئنة إلى أن حليفها واشنطن المتحالفة مع الإسلام السياسي الصاعد ستضمن لها عدم وجود أي ردود فعل عربية على سياساتها العدوانية " (أبراش ، 2012) .

أما في غزة - كما يرى عاموس يدلين - فقد استطاعت إسرائيل أن تتوصل بعد عملية " عمود السحاب " إلى اتفاق هدنة مع حماس ، وحولتها إلى مسؤولة عن ضمان الحفاظ على الهدوء على الجبهة ، فيما لم تشهد الجبهة الشمالية المحاذية لسوريا أحداثا دراماتيكية ، بل بقيت الأمور على الحدود السورية هادئة بشكل عام . وفي الوقت ذاته ، أسهم إنهاك الجيش السوري في الحرب الداخلية باستنزافه تقنيا وبشريا ، وبتفكيك " التهديد السوري " وتقليل احتمال قيام الجيش بأي عمل مفاجئ لاستعادة هضبة الجولان ، بهذا تكون إسرائيل سجلت في العقدين الأخيرين تفكيك " تهديدين " لأمنها ، هما التهديد العراقي في حقبة صدام والتهديد السوري الذي غرق في أزمته الداخلية ، والأهم أن الوضع في سوريا بحسب المصادر الإسرائيلية تسبب بتوجيه ضربة قاضية لمكانة إيران في المنطقة ، وفتح نافذة لإضعاف المحور الإيراني ، وتشويش التواصل بين إيران وحزب الله في حال سقوط النظام السوري " (غانم ، 2013، ص 12) .

ويبدو أن هذا المشهد هو الراجح على خلفية ما آلت إليه تطورات أحداث الحراك السياسي العربي ونماذجه وسياساته " الثورية " ليس على قياسات الصعيد الداخلي المحبط وحسب بل

على الصعيد الإقليمي والدولي الذي ليس من المتصور تخيل أي سيناريو مستقبلي للصراع العربي الإسرائيلي دون استحضاره وفهم تفاعلاته والأوزان النسبية لقواه وفواعله واستيعاب مصالحهم الحيوية في المنطقة . فالحراك العربي غير من طبيعة الصراع في المنطقة ومن أولويات شعوب المنطقة. ف سابقا كان الحديث يدور حول صراع عربي إسرائيلي وكانت واشنطن والغرب عموما طرفا بجانب إسرائيل، أما في ظل الحراك العربي فإن الحديث يدور حول عالم إسلامي وصراع الإسلاميين ضد الأنظمة العلمانية والدكتاتورية لتأسيس أنظمة إسلامية، وتراجع الصراع مع إسرائيل والغرب ، بل للمفارقة أن واشنطن والغرب والدول الموالية لهم كقطر والسعودية يدعمون جماعات الإسلام السياسي للسيطرة على الحكم . ومن هذا المنطلق علينا تصور عالما عربيا/إسلاميا جديدا حليفا لواشنطن والغرب أو على الأقل غير معاديا لهم" (ابراش ، 2012) . وبالتالي تدعيم مكانة إسرائيل وتوجهاتها الاستراتيجية في المنطقة .

خامساً / الخلاصة والنتائج :

من خلال استعراض حالة الحراك العربي بعد مرور أكثر من خمس سنوات على بداياته في العام 2011 ومواقف الدول الكبرى ودول الجوار الإقليمي حيال ذلك ، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

1- على المستوى الإقليمي والدولي ، يمكن ملاحظة انقسام الرؤى وازدواجية المواقف حيال حالات الحراك العربي ، حيث " هناك تفاوت بين القوى الدولية والإقليمية في استقبال التطورات التي اعترت المنطقة العربية مؤخرا ، سواء من خلال تلقي المفاجأة ووقعها ، أو فهم ما جرى ، أو حتى كيفية التعامل معه وتوقيت الاستجابة للتحدي الذي فرض نفسه على الجميع " (عبد الفتاح ، 2010 ، ص 62) .

2- حالات الحراك العربي مازالت تشهد سيولة وتداعيات مهمة وبالغة الخطورة على دول المنطقة وكذلك على دول الجوار الإقليمي وباقي دول العالم ، الأمر الذي يصعب معه التكهن بما ستؤول إليه الأوضاع وتقلبات المواقف في ظل بيئة أمنية وسياسية غير مستقرة ومضطربة .

3- يمكن تصور ثلاثة مشاهد لمستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي على خلفية أحداث الحراك العربي " مشهد تفاؤلي " بالنسبة للعرب وإن كانت الأوضاع ومجرياتهما في المنطقة العربية بعد مرور أكثر من خمس سنوات على بدء هذا الحراك لا تؤيد فرضيات هذا المشهد . " مشهد الإبقاء على الوضع الراهن " وهو مشهد غير متوقع استمراره طويلاً في ظل الانقسام العربي والفلسطيني بصفة خاصة ، وكذلك بناءً على التوجهات الإسرائيلية وسلوكيات الكيان الإسرائيلي التي تتجه نحو

التوظيف الإيجابي لمشهد الحراك العربي بغية استغلال الفرص وتعظيمها بما يدعم الموقف الإسرائيلي ويعمل على إحراز المزيد من التقدم لصالح ميزان القوة لتل أبيب في المنطقة . والشاهد الثالث " مشهد تشاؤمي " بالنسبة للعرب يقوم على تعميق حالة الانقسام والتشردم العربي واشتداد حالة الاستقطاب السياسي والأمني في النظام الإقليمي العربي وتراجع مكانة القضية الفلسطينية في أجندات الحراك العربي ودوله وهو الأمر الذي ينعكس سلباً على طرفي المعادلة الفلسطينية في رام الله وغزة . خاصة وأن الطرف الإسرائيلي لا يمكن أن يفوت هذه الفرصة في خدمة اتجاهين استراتيجيين ، هما :

- تعميق الخلافات العربية - العربية وكذلك شق الصف الفلسطيني وتفتيته من الداخل وفرض الأمر الواقع بتوسيع سياسات الاستيطان وكسب مساحة إضافية ونوعية على طاولة المفاوضات العربية - الإسرائيلية .
- تدعيم المكانة الإسرائيلية في المنطقة وتمرير المشروعات الإسرائيلية وتهيئة الأرضية السياسية والأمنية المناسبة لفرض ما يسمى مشروع الشرق الأوسطي الجديد الذي تبدو فيه إسرائيل كطرف متفوق ومحوري . وبالتالي جر دول المنطقة العربية إلى حالة التطبيع والاعتراف الكامل والدائم بالوجود الإسرائيلي في المنطقة .

قائمة بالمراجع

1. إبراهيم أبراش .استشراف مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي ما بعد الربيع العربي .- (د:م) : مركز صبرا SBR للإعلام والدراسات ، 2012 .
2. إبراهيم أبراش . "من مصالحة إدارة الانقسام إلى المرجعية الإستراتيجية" .- من وثائق أعمال المؤتمر السنوي الأول (القضية الفلسطينية : مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي) ، تموز 2012 .
3. إبراهيم العيسوي . الدراسات المستقبلية ومشروع مصر 2020 .- القاهرة : (د-ن)، سبتمبر 2000 .
4. إبراهيم محمود حبيب . "مستقبل اتفاق المصالحة الفلسطينية: رؤية تحليلية" .- مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، مج 20 ، ع 2، يونيو 2010 .
5. احمد سعيد نوفل ، أثر الربيع العربي على القضية الفلسطينية .- (د-م) : (د-ن)،(د-ت)
6. باسم راشد . " الاقتراب الحذر .. هل يعيق الصعود الروسي نجاح الثورات العربية" .- تحولات إستراتيجية .- (ملحق مجلة السياسة الدولية) ، ع أكتوبر 2012 .
7. بسام درويش . "المصالحة .. خطوة إلى الأمام وخطوات إلى الخلف" .- مجلة سياسات ،(د-ت).
8. بشير عبد الفتاح . " اتجاهات التحركات الدولية حيال المنطقة" .- مجلة شؤون عربية ، ع 152 ، شتاء 2010 .
9. جاسون براونلي . " المحافظة الأمريكية : رد فعل إدارة اوباما تجاه ثورة 25 يناير في مصر" .- مجلة السياسة الدولية ، ع 189 يوليو 2012 .
10. جميل هلال . "وقع الانتفاضات الشعبية الديمقراطية على الحركة السياسية الفلسطينية" .- موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية متاح على الرابط : www.palestine-studies.org
11. جهاد عودة . الثورات العربية وأثرها على العلاقات العربية .- القاهرة : (د-ن)، 2013.
12. حامد عبد الماجد. مقدمة في منهجية دراسة وطرق بحث الظواهر السياسية، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2000 .
13. قسم البحوث والدراسات الاقتصادية "الربيع العربي : سيناريوهات المستقبل" ، منتدى الأعمال الفلسطيني -، ديسمبر 2011 .
14. "الربيع العربي يقدم خمس فرص لإسرائيل" .- صحيفة النهار ، ع 1888 ، 23 يوليو 2013.

15. سامية بيبيرس . "سوريا وتركيا بين التحالف والعداء" . - مجلة شؤون عربية ، ع 152 ، شتاء 2012 .
16. عاطف ابوسيف . "الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والثورات العربية : الديمقراطية أم الأنظمة ؟" . - مجلة سياسات ، ع 19 ، 2012 .
17. عبد الله عبد الحليم اسعد عبد الحليم . الولايات المتحدة الأمريكية والتحولت الثورية الشعبية في دول محور الاعتدال العربي (2010 - 2011) . - قسم التخطيط والتنمية السياسية - جامعة النجاح الوطنية نابلس - فلسطين 2012 (رسالة ماجستير غير منشورة) ،
18. على حسين باكير ، عدنان ابوعامر . تركيا والقضية الفلسطينية في ظل تحولات الربيع العربي . - (د-م):مركز الجزيرة للدراسات ، 2012 .
19. عماد البشتاوي . " الربيع العربي وفلسطين : الرهان على مرحلة الشعوب" . - مجلة سياسات ، د-ت ،
20. عماد جاد . "التقييم الإسرائيلي للأوضاع في المنطقة" . - مجلة شؤون عربية ، ع 152 ، شتاء 2012 .
21. فراس أبو هلال . إيران والثورات العربية : المواقف والتداعيات (تقييم خالة) . - الدوحة : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2011 .
22. مأمون سويدان . "المصالحة التائهة بين تحفظات حماس وخلافاتها الداخلية" . - مجلة سياسات ، د-ت .
23. محسن أبو رمضان . "التحولت الشعبية العربية وأثرها على خارطة السياسة الفلسطينية" . - مجلة تسامح ، ع 38-39 ، س 10 ، كانون الأول 2012 .
24. محمد عليمات . الصين والشرق الأوسط : من طريق الحرير إلى الربيع العربي ، مراجعات الكتب (عرض : إبراهيم غرايبة) مركز الجزيرة للدراسات ، مارس 2013 .
25. مدحت أيوب . "استعادة التوازن : الثورات العربية وإعادة نمط الصعود الصيني ، تحولت إستراتيجية " . - ملحق مجلة السياسة الدولية ، ع أكتوبر 2012 .
26. ميخائيل ميلشتاين . " شرق أوسط قديم - جديد : الثورات في الشرق الأوسط وانعكاساتها على إسرائيل" مختارات من الصحف العبرية . - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (ملحق خاص) ، 2011 / 5 / 7 .

27. نبيل قسيس . " قراءة أولية في التغيرات طويلة الأمد في المواقف الدولية إزاء القضية الفلسطينية" . - في أعمال المؤتمر السنوي الأول (القضية الفلسطينية : مراجعة التجربة وآفاق تغيير المسار الاستراتيجي) ، تموز 2012 .
28. هنيذة غانم " تحرير " . تقرير مدار الاستراتيجي 2013 : المشهد الإسرائيلي 2012 ، رام الله : المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ، آذار 2013 .
29. وحدة تحليل السياسات . التوازنات والتفاعلات الجيوستراتيجية والثورات العربية . - الدوحة : المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات ، أبريل 2012 .